

تفسير ابن كثير

تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

ثم قال [تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل ، وترك النوم

والاضطجاع على الفرش الوطيئة . قال مجاهد والحسن في قوله تعالى [: (تتجافى جنوبهم

(يعني بذلك قيام الليل . وعن أنس ، وعكرمة ، ومحمد بن المنكدر ، وأبي حازم ، وقتادة

: هو الصلاة بين العشاءين . وعن أنس أيضا : هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير

بإسناد جيد . وقال الضحاك : هو صلاة العشاء في جماعة ، وصلاة الغداة في جماعة .)

يدعون ربهم خوفا وطمعا (أي : خوفا من وبال عقابه ، وطمعا في جزييل ثوابه ، (ومما

رزقناهم ينفقون) ، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ، ومقدم هؤلاء وسيدهم

وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال عبد الله بن رواحة

، رضي الله عنه : وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع [أرانا

الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع [يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا

استثقلت بالمشركين المضاجع وقال الإمام أحمد : حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد

بن سلمة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه ، ومن بين أهله وحيه إلى صلاته ، [فيقول ربنا : أيا ملائكتي ، انظروا إلى عبدي ، ثار من فراشه ووطائه ، ومن بين حيه وأهله إلى صلاته] رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي . ورجل غزا في سبيل الله ، عز وجل ، فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى أهرق دمه ، رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي . فيقول الله ، عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتى أهرق دمه " . وهكذا رواه أبو داود في " الجهاد " ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به بنحوه . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا نبي الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال : " لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت

" . ثم قال : " ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة
الرجل في جوف الليل " . ثم قرأ : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ، حتى بلغ) يعملون
(. ثم قال : " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ " فقلت : بلى ، يا رسول
الله . فقال : " رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل
الله " . ثم قال : " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ " فقلت : بلى ، يا نبي الله . فأخذ بلسانه
ثم قال : " كف عليك هذا " . فقلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به . فقال :
ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم -
إلا حصائد ألسنتهم " . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم ، من طرق عن معمر ،
به . وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه ابن جرير من حديث شعبة ، عن الحكم قال :
سمعت عروة بن الزال يحدث عن معاذ بن جبل ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له : " ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكَفِّر الخطيئة ، وقيام العبد
في جوف الليل " ، وتلا هذه الآية : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) . ورواه أيضا من حديث الثوري ، عن منصور بن المعتمر ،

عن الحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ومن حديث الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ مرفوعا بنحوه . ومن حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن شهر ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال : " قيام العبد من الليل " . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا فطر بن خليفة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم ، وحكيم بن جبير ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال : " إن شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل " ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) . ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادى

بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم
الذين كانت (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ، فيقومون وهم قليل " . وقال البزار :
حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر ، حدثنا عبد الحميد بن سليمان
، حدثني مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية : (
تتجافى جنوبهم عن المضاجع) [الآية] ، كنا نجلس في المجلس ، وناس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت هذه الآية : (
تتجافى جنوبهم عن المضاجع) . ثم قال : لا نعلم روى أسلم عن بلال سواه ، وليس له
طريق عن بلال غير هذه الطريق .